International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

آنية الفعل ومستقبليته في آيات قصة أصحاب الكهف

علي أحمد يحيى المعنقي
باحث دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة صنعاء، اليمن
alrazheali@gmail.com

ملخص البحث

تشكل القصص القرآنية أحد أهم الأغراض للبيان والعبرة وقياس الأحداث الآنية على الأحداث الماضوية التي يريد القرآن إيصالها إلينا، وقد تمت صياغة القصة القرآنية بأساليب متنوعة، حسب ما يقتضيه السياق، منها ما فُصِّل، ومنها ما أُجمل، وقصة أصحاب الكهف من القصص التي تم التفصيل فيها، وهذا البحث يعالج قصة أصحاب الكهف من حيث استخدام الفعل لمعرفة أسلوب القص القرآني من بوابة علم النحو.

وقد تم مناقشة ذلك من خلال معنيين مهمين هما آنية الفعل المستخدم، ومستقبليته في قصة أصحاب الكهف وتسلط الضوء في هذا المبحث على كيف أن القصة بالرغم من ماضوية زمنها صيغت بأسلوب يدل على الحاضر والمستقبل لتكون القصة حية متجدد. كما تم بحث أسلوب الحوار في هذه القصة، والذي جعل النص حيًّا نابضاً بالحيوية والحركة.

وقد تم التوصل إلى أن بحث النص القرآني من خلال علم النحو يؤدي إلى معرفة تضيف إلى التفسير القرآني بعدًا يمكن الاستفادة منه في معرفة أسرار القرآن الكريم.

الكمات المفتاحية: أصحاب الكهف، القرآن، القصة، الفعل، الحوار.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

The Present of Action and its Futuristic in the Verses of the Story of the People of the Cave

Ali Ahmed Yahya AL-manaqee
PhD Researcher, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Sana'a University, Yemen
alrazheali@gmail.com

Abstract

The Qur'anic stories constitute one of the most important purposes for explanation, lesson, and measuring current events against past events that the Qur'an wants to convey to us. The Qur'anic story has been formulated in various ways, according to what the context requires, some of which are detailed, and some of which are summarized. The story of the People of the Cave is one of the stories that have been detailed. This research deals with the story of the People of the Cave in terms of using the verb to know the style of the Qur'anic story from the gate of grammar.

This was discussed through two important meanings: the timeliness of the verb used, and the futurestic of the verb in the story of the People of the Cave. This section sheds light on how the story, despite the pastness of its time, was formulated in a style that indicates the present and the future so that the story is alive and renewed. The style of dialogue in this story was also discussed, which made the text lively and vibrant with vitality and movement.

It was concluded that researching the Qur'anic text through grammar leads to knowledge that adds a dimension to the Qur'anic interpretation that can be used to know the secrets of the Holy Qur'an.

Keywords: The People of the Cave, The Qur'an, The Story, The Verb, Dialogue**.**

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعجز بكتابه الثقلين، ومد ظل بيان رسالته الخاتمة على ميادين المعرفة، ليبعث دفائن العقل فينظر، ويزكّي الروح فتسمو، ويهذّب النفس فتُبصر. وعلى رسول الكلمة الطيبة، والمعجزة الباقية، واللسان الصدق، أزكي صلوات الرب الأكرم، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد،

فرق كبير بين نص أتى من قدرات نسبيٍ واقع تحت تأثر العوارض الزمانية والمكانية، متغير بتغير مواقع مُكْث جسده، وعقله، وقلبه، في المكان والمعرفة والعاطفة، وبين نص أتى من مطلَقٍ، فوق الزمان والمكان والمؤثرات، مؤثِّر غير متأثر.

الأول سيحمل بصمات النقص مهما كان بديعًا، نتيجة التراكم المعرفي، وأثره في بناء المعرفة الإنسانية. بينما الآخر سيكون كاملًا؛ لصدوره عن الكامل، محيطًا؛ لإحاطة مبدعه، صادقًا؛ لحكمة باعثه العالِم.

وعلى أساس من هذا تكون المناقشة مع النص الأول ميسورةً مادام المناقش ممتلكًا لأدوات النقاش، والنقد، والدراسة؛ لوحدةِ فلكيَّةِ المعرفة الإنسانية، وتواشج العلاقات المشتركة، وتماثُلِ العواطف الإنسانية؛ قديمًا وحديثًا. بينما يبقى التعامل مع النص الآخر محاطًا بهالةٍ من القداسة، تجذب إليه روعةُ الجمال، وتدفع عنه مهابةُ الجلال.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم هو نص من النوع الثاني، لصدوره عن الله المطلق سبحانه وتعالى، ولولا أن الله نزّله من مستوى اللاهوت إلى محيط الناسوت؛ لما استطاع الإنسان لبشريته أن يعقل منه شيئاً، لاختلاف الخالق والمخلوق، والقديم والمحدث، ولذلك وصفه الله تعالى: بأنه ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت: 41-42]، والتذييل فيه ما فيه مما نحن بصدده، فقد نزّله لحكمة، وأنزله لمنفعه، فهو حكيم في تنزيله، ومحمود في إنزاله. وكلمة تَنزِيل تحمل معنى التبسيط والدَّرَجيّة؛ حكمة من الله تعالى، وتيسيرًا منه؛ ليتذكر من يتذكر ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [القمر:17].

هذه النقطة ساعدت الإنسان على الاقتراب من النص المقدس؛ فأخذ ينهل منه ما يروي به ظمأ نفسه، في كافة المجالات، وعلى كل الأصعدة، وفي كل الميادين، بما أُتيح له من أدوات تساعده على فتح مناجمه المليئة بالدر الثمين.

وإذا كان أسلافنا خاصة الأصوليين قد اشترطوا في مُسْتَنْبِط الأحكام من نص القرآن أن يكون مُلِمًّا بعلوم اللغة العربية من: نحوٍ، وصرف، وبيانٍ، ومعانٍ، وبديعٍ؛ فهذا يعني أهمية جَعْل اللغة العربية من أساسيات أدوات دراسة هذا النص الكريم، قبل أي أداة أخرى.

وكغيرها من العلوم الأخرى، استفادت اللغة العربية من مناهج البحث والاستنباط، فانعكس ذلك بدوره على كل ما لبحثه علاقة ببحثها، ومنها النص المبدع، ومنه القرآن الكريم، وبعيدًا عن الجدل في حلّيّة أو حرمة إخضاع النص القرآني للمناهج البحثية الحديثة، نقول إن النص القرآني بأي منهج بحث يتفجر منه النور، الذي يبهر ويُدهش؛ فلا يكون من الباحث إلا أن يجفل أمام النور المتجلّي، مسبحًا بحمد الله، ومقدسًا له.

وفي هذا البحث الذي حاولت من خلاله دراسة آيات قصة أصحاب الكهف، أرجو أن يعذرني المطلع، فبالرغم من تضييقي مساحة البحث إلا أن اللفظ القرآني ينفتح كالأفق، ويتسع باتساع الغيب، وكلمات الله لا يحيط بها الإنسان علمًا؛ لأن بها صفة من صفات مبدعه، وهو الرب الذي لا يُحاط به، وهو بكل شيء محيط؛ ولذلك أعلم أن ما كتبتُ ليس سوى تجربة في ميدان البحث القرآني من خلال قواعد اللغة العربية؛ لمعرفة دلالات التراكيب القرآنية. يتخلل هذه التجربة: الخطأ، والنقص، والسهو.

وقد صغت ما توصلت إليه في مدخل وبحثين تحت عنوان آنية الزمن ومستقبليته في آيات قصة أصحاب الكهف، من خلال آنية الفعل واستقباله، والحوار الدال على وجود حركة ذاتٍ داخل الإطار الزمني.

منهج البحث

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي المعتمد على التحليل والاستقراء.

أهداف البحث

1. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أن البحث اللغوي للقرآن الكريم يساعد في فهم القرآن الكريم، ويشكل أداة لمعرفة أسراره وكوامنه، وعلامات إعجازه.
2. معرفة أسلوب التركيب الجملي في القص القرآني، بالنسبة للفعل المستخدم في صياغة القصة.

حدود البحث

آيات قصة أصحاب الكهف عليهم السلام في سورة الكهف.

هيكل البحث

قسمت البحث تحت عنوان (آنية الزمن ومستقبليته في آيات أصحاب الكهف) إلى مقدمة، ومدخل، ومبحثين، وخاتمه:

- مدخل.
- أولًا: آنية الفعل ومستقبليته.
- ثانيًا: الحوار.
- الخاتمة.

والله أسأله القبول والإخلاص؛ وهو الموفق.

المدخل

من المعلوم أن قصة أهل الكهف تتحدث عن شخصيات ووقائع ماضية. ومن الطبيعي أن يكون الحديث عن تلك الماضويات بالفعل الماضي الدال على الزمن المنقضي، إما بصيغته المطلقة (فَعَلَ)، وإما بصيغ أخرى دالة على مضيّ الحدث وانقضائه. لكن ما يلفت أن قصة أصحاب الكهف بالرغم من ماضويتها إلا أنها لم تنهج هذا الأسلوب فحسب، بل نجد التنوع في استخدام الألفاظ الدالة الزمن بمُدَدِهِ المختلفة؛ ففعل الحال والاستقبال (المضارع) قد غطى مساحةً واسعة في جسد نص القصة، وكان لهما مكاناهما في التركيب، والحبك النصي لمجريات الأحداث التي تعرضت لها تلك القصة العجيبة.

وعلى أساس من ذلك التنوع، والانزياح من الماضي إلى الحاضر، والمستقبل؛ ظهر النص آنيًّا، مستقبليًّا، كأنما تدور أحداثه في زمن القصّ، وكأنما يعرض النص فيلمًا متحركًا ينبض بالحياة والآنية، تتكشف مشاهده أمام أعين القرَّاء.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

وإذا كان أصحاب الكهف قد رحلوا بأجسادهم في الزمن إلى المستقبل؛ فعاشوا في زمن غير زمانهم، وتمكنت أعين المسْتَقْبَلين من رؤيتهم أحياء، فإن القرآن الكريم تحدث عنهم بنص يضارع حياتهم الجسمية، وذلك بأن رحَّل النص المتحدِّث عنهم، من الماضي إلى الحاضر، ومن الغياب إلى الشهادة، ومن الجمود إلى الحركة.

ونتيجة لهذا الأسلوب المتبع في سبك النص القصصي عن أصحاب الكهف؛ ظهرت وقائع النص، وشخصياته حية؛ تقول، وتحاور، وتتحرك، وتحس، وتشعر، وكأنها ما زالت نابضة بالحياة أمام أعين متلقي النص، بل نرى النص قد استخدم كلمة ﴿تَرَى﴾ البصرية ليزيد النص واقعية وحضورًا، يقول تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17]

ويمكن ملاحظة دلالة الفعل ﴿تَرَى﴾ من خلال التالي:

- ﴿وَتَرَى﴾ يراد بها الرؤية البصرية أي مشاهدة الذوات والحركة بالعين، فهي غير منصرفة إلى أي معنى مشترك مع الرؤية البصرية، وهذا يجعل من المخاطَب ذاتا تعايش وقائع الحدث، وتغيراته، منفعلاً بكل ما يدور فيه من أحداث.
- الفعل ﴿وَتَرَى﴾ جاء بصيغة المضارع الدال على الزمن الحاضر، والمستقبل، وإذا عُبِّر عن فعل بالمضارع فإنما يراد بذلك استحضار المتحدَّث عنه ليعايشه المتحدِّث له بوجدانه وتفكيره وتصوره؛ فيكون المتحدَّث له أكثر انفعالًا وتأثرًا بمدلول الكلم، وأشد انجذابًا إلى القائل، وفيه ما فيه من حضور وآنية.
- أوقع الفعل ﴿وَتَرَى﴾ على الشمس، ولم يوقعه على أصحاب الكهف أو الكهف، بل ورد: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ وهذا التعبير يشدّ المتلقي إلى ذاتٍ آنيةٍ مشهودة؛ وهي الشمس، المستمر طلوعها وغروبها على المتلقي نفسه؛ ليستحضر من خلالها الحركة الدائبة التي كان أصحاب الكهف يعيشونها من الإصباح والإمساء، وحركة التقلب ذات اليمين وذات الشمال. هذا بالإضافة إلى أن رؤية أهل الكهف لم تكن مقدورًا عليها، لسر يعلمه الله تعالى، فأوقع الرؤية على الشمس لا عليهم، وفي قوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: 18]، ما فيه من دلالةٍ فيما نحن بصدده.

وبذلك جعل الفعلُ ﴿وَتَرَى﴾ المتلقيَ أمام مشهدٍ، حيٍّ، متحركٍ، تنبض عناصره الكونية، والإنسانية والحيوانية بالحياة، والحركة، والتجدد.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

ولعل أهم ما أوجد الحياة والحركة في هذا النص، ودلّل على الآنية والحضور، وبَأَّر للمستقبل والتجدد، ما سوف نتناوله بشيء من التفصيل في بحثين هما:

1. آنية الفعل ومسنقبليته.
2. الحوار.

أولًا: آنية الفعل ومستقبليته

من معلوم النحو العربي أن ما يدل على الزمن وحركته ثلاث صيغ سماها النحويون بالأفعال هي: الفعل الماضي، والمضارع، والأمر؛ على خلاف في الأمر. فالفعل الماضي بصيغته (فَعَلَ) يدل على حدث في زمن مضى وانقضى إذا أطلق، والمضارع بصيغته (يَفْعَل) يدل على الحاضر بصيغته المطلقة، والأمر بصيغته (افْعَلْ) يدل على حدث سيحدث في المستقبل، وهذا ما تضمنه قول سيبويه في الكتاب حين قال: "أما الفعل فأمثلة أخذت من أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع" [(i)].

ومعنى هذا أن الفعل المضارع يدل على زمن التكلم، هذا في إطلاقه، لكنه يفيد الماضي، والمستقبل حينما يُتَضَمّن في سياق خاص، أو تحيط به عوارض كَمْيَّةٍ معينه، قبْليّة، أو بعديّة، تعمل على إزاحته من دلالته الآنية إلى دلالة ماضوية، أو مستقبلية حسبما يقتضية السياق، والسبك النصي، وهذا الانزياح الدلالي هو ما أثار قضية الدلالة على الزمن في صياغة الأفعال في اللغة العربية.

والذي نحب أن نشير إليه هنا: أن حبك النص، وطبيعة تركيبه في قصة أصحاب الكهف قد سبب انزياحًا زمنيًا لكل مكونات القصة، من شخصياتٍ، وأحداثٍ، وأجرامٍ، في قفطان من فعل الحال، والاستقبال، وما يقوم مقامه من حوارٍ، ونقاشٍ، الذي وإن كان يتضمن أفعالًا ماضيةً إلا أنها تدل على حركةٍ زمنيةٍ آنيةٍ، تتبلج من خلال حضور الشخصية المتحدِّثة أو المتحدَّث عنها. وإذا جئنا لنقرأ الفعل المضارع في هذه الآيات الكريمة نلاحظ ما يلي:

- ورد الفعل المضارع في الآيات الكريمة بألفاظه المختلفة سبعًا وثلاثين مرة، وهو كالتالي: ﴿لِنَعْلَمَ ، نَقُصُّ، لَنْ نَدْعُوَ، لَوْلَا يَأْتُونَ، وَمَا يَعْبُدُونَ، يَنْشُرْ، وَيُهَيِّئْ، وَتَرَى، تَزَاوَرُ، تَقْرِضُهُمْ، مَنْ يَهْدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ، فَلَنْ تَجِدَ، وَتَحْسَبُهُمْ، وَنُقَلِّبُهُمْ، لِيَتَسَاءَلُوا، فَلْيَنْظُرْ، فَلْيَأْتِكُمْ، وَلْيَتَلَطَّفْ، وَلَا يُشْعِرَنَّ، إِنْ يَظْهَرُوا، يَرْجُمُوكُمْ، أَوْ يُعِيدُوكُمْ، وَلَنْ تُفْلِحُوا، لِيَعْلَمُوا، إِذْ يَتَنَازَعُونَ، لَنَتَّخِذَنَّ، سَيَقُولُونَ، وَيَقُولُونَ، وَيَقُولُونَ، ما يَعْلَمُهُمْ، فَلَا تُمَارِ، وَلَا تَسْتَفْتِ، وَلَا تَقُولَنَّ، أن يَشَاءَ، يَهْدِيَنِ، وَلَا يُشْرِكُ﴾، وإذا استثنينا ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ لورود ﴿إِذْ﴾

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

قبله وهي تزيح دلالته إلى الماضي يكون العدد ستًا وثلاثين مرة، فإذا أضفنا إلى ذلك فعل الأمر الذي يدل على الاستقبال، والذي ورد إحدى عشرة مرة كالتالي: ﴿آتِنَا. وَهَيِّئْ، فَأْوُوا، فَابْعَثُوا، ابْنُوا، قل، وَاذْكُرْ، قل، قُلِ، أَبْصِرْ، أَسْمِعْ﴾، يكون المجموع سبعًا وأربعين مرة، هذا العدد الكثير من الأفعال الدالة على الحال، والاستقبال تجعل النص حاضرًا، شاهدًا، متحركًا، مندفعًا إلى الأمام.

وحين نأتي لندرس الفعل المضارع الوارد في الآيات الكريمة، نجد أنه يدل على المستقبل أكثر من دلالته على الآن، وكأنّ النص كما ذكرنا سابقًا يريد أن يضارع حياة أصحابه؛ فيرحل في الزمن إلى المستقبل. كما نجد أن الأفعال التي تدل على الآنية لا تتعدى أربعة أفعال هي: ﴿نَقُصُّ . يَعْبُدُونَ . تَحْسَبُهُمْ . نُقَلِّبُهُمْ﴾، أما بقية الأفعال فهي تدل بمنطوقها، ومفهومها على المستقبل، أو الاستمرار؛ لورودها في محيط ألفاظ تدل على ذلك. نلاحظها من خلال التالي:

1. التعليل:

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[الكهف: 21]، و﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ...﴾ [الكهف: 19]، ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا... ﴿12﴾ ﴿الكهف﴾، هذا التعليل بما يحمله من دلالة على المستقبل القريب يجعل النص في بؤرة الحياة، والآنية، ويضفي عليه نوعًا من الاستمرار، ويضيف التعبير بالعموم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا... ﴿21﴾ الكهف﴾ فواو الجماعة في ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ عام، يشمل أهل الكهف، وقومهم، والناس من بعدهم؛ لعلاقته بما يحمل العبرة والعظة؛ يضيف هذا التعبير بالعموم مستقبليةً دائمة، يتجدد النص من خلالها، وتبقى حياته نابضة لدى كل متلقي مهما امتد الزمن.

2. الشرطية:

من المعلوم عن الشرط أنه يزيح زمن الجملة إما إلى الماضي كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿10﴾ ﴿الكهف﴾، وإما إلى المستقبل كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿النصر: 1﴾.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

وفي سورة الكهف اقترن الفعل بالشرط؛ ليدل على المستقبل كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ... ﴿17﴾ ﴿الكهف﴾، وفي هذه الآية يمكن أن نلاحظ التالي:

أ. استخدام لفظ ﴿وَتَرَى﴾ الدال على الرؤية البصرية، والذي يفيد ملاحظة المتلقي للموقف المتحدَّث عنه.

ب. إسقاط الرؤية على جرم سماوي. الذي هو الشمس. وهو جرم دائم التجدد، والحركة بطلوعه، وغروبه؛ مما يجعل حركة النص مستمرة باستمرار هذا الطلوع والغروب.

ج. استخدم اسم الشرط ﴿إِذَا﴾ الذي يفيد بإطلاقه القطع والحتمية، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1]، بخلاف (أنْ) التي تحمل نوعاً من الاحتمالية بالوقوع، أو غيره، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿23﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ... ﴿24﴾ [الكهف]؛ فالله قد يشاء للإنسان أن يفعل ذلك الشيء، وقد يشاء غير ذلك.

د. وقد ورد لفظ ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ بالتشديد، ومن المعلوم أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى كما يقال؛ فهذا التشديد قد زاد الحال حركةً، واستمرارًا، وقوةً؛ في تأكيد الفعل، وحركيته. فحركتهم ذات اليمين، وذات الشمال، مع حركة طلوع الشمس، وغروبها أضافت إلى الحركة وهجًا، فهم مع نومهم متحركون، والحركة دليل على الحياة، والاستمرار، "والإتيان بالمضارع؛ للدلالة على التجدد بحسب الزمن المحكي. ولا يلزم أن يكونوا كذلك حين نزول الآية" ([ii]).

3. الأمر:

صيغة (افعلْ) دالة على الطلب، وهل تدل على الزمن؟ من يراها فعلاً فهي دالة على زمن لاقترانها به، أما من يرى الأمر أسلوباً، لا يدل إلا على الطلب؛ فالصيغة لا تدل على الزمن ([iii]).

آيات أصحاب الكهف الكريمة بالإضافة إلى تضمنها لصيغة (افعلْ) اشتملت أيضًا على الفعل المضارع الدال على الطلب بصيغته، وهو الفعل المضارع الذي تقترن به (لام الأمر)، وقد ورد في: ﴿فَلْيَنظُرْ. فَلْيَأْتِكُم. وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، وهذه الصيغ دالة على الزمن المستقبل؛ لأن وقوع الفعل لا يكون إلا بعد نطق الفعل، والمستقبل: إما أن يكون مستقبلًا قريبًا، أو متراخيًا، كما يتحدث عنه الأصوليون.

4. النهي:

النهي أيضًا هو فعل مضارع اقترنت به لا الناهية، والفرق بين النهي، والأمر من الناحية الزمنية، أن الزمنية لها تعلق بالفعل في الأمر، أما النهي فالزمنية متعلقة بالذات المنهية؛ لأن المطلوب عدمية الفعل، بخلاف الأمر الذي يطلب حدوث الفعل. والنهي ورد في الآيات الكريمة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ. فَلَا تُمَارِ. وَلَا تَسْتَفْتِ. وَلَا تَقُولَنَّ﴾.

5. حرف الاستقبال:

اقترنت بعض الأفعال المضارعة بحروف تدل على المستقبل كالسين، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ﴾، ثم عطف على هذا الفعل، والمعطوف عليه يفيد المستقبل، ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ...﴾ [الكهف: 22]، "ومعنى (سين) الاستقبال سارٍ إلى الفعلين المعطوفين على الفعل المقترن بالسين، وليس في الانتهاء إلى عدد الثمانية إيماء إلى أنه العدة في نفس الأمر" ([iv]).

ولا ننسى أن نشير إلى نقطتين أخيرتين هما:

الأولى: الاستمرار الزمني:

وردت أفعال مضارعة تدل على الاستمرار الزمني، وهي توحي بحياة النص، كما تساعد على ديمومته، وحركته، هذه الأفعال هي ﴿لَن نَّدْعُوَ. مَن يَهْدِ اللَّهُ. وَمَن يُضْلِلْ. فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا. وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا. مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

إن الأبدية الزمنية من صفات القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه، وهو مصدر هداية لكل متلقٍّ لهذا النص المقدس، وكما هو أبدي الهداية بموضوعه، هو أيضًا أبديٌ بنصه؛ إذ سيظل هذا النص دائم التجدد والحياة بأسلوبه وهدايته؛ فالحديث عن قول أصحاب الكهف: ﴿لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا... ﴿14﴾ ﴿الكهف﴾ أضحى فعلاً أبديًّا؛ لموتهم على الإيمان والتوحيد، ولعدم صدور أي فعل منهم يخالف هذا المعتقد في المستقبل؛ لأنهم موتى فلا يرد احتمال مناقضتهم لمدلول النفي في ﴿لَن نَّدْعُوَ﴾.

كذلك الفعل الإلهي ﴿يَهْدِ. يُضْلِلْ﴾، لأن ما يريده الله يكون، ولاحظ معي كلمة تجد في قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا...﴾ [الكهف: 17] الدالة على ديمومة الفعل، وأبديته، واستمراره، والأبدية المذكورة في قوله

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

تعالى: ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 20]، دليلٌ مهمٌ على الاستمرار الزمني لمدلول النهي، فتركيب هذه الأفعال يفيد استمرار الزمن الذي بدوره يدل بمفهوم الالتزام على استمرا النص.

الثانية: الآنية والمستقبلية في الصيغة الماضوية:

قال النحاة سابقاً: إن صيغة الفعل الماضي تدل على الزمن الماضي. وهو الفعل الوحيد الذي لِاسْمِه دلالة زمنية، فكلمة (ماضي) تحمل في طياتها هذه الدلالة، لكن دلالة الفعل الماضي على الزمن قد تنزاح كما عرفنا بسبب سياقٍ معين، أو لمُدخَلاتٍ قبليةٍ، أو بعديةٍ؛ ليؤدي دلالاتٍ متنوعة، ويفيد معانٍ جديدة، ويكسر رتابة السياق النصي؛ كل ذلك ليميل بالمتلقي إلى القيم الحافة التي تتوزع حول بؤرة المعنى الوضعي للمصطلح.

ومن الأفعال الماضية التي وردت في قصة أصحاب الكهف الموحية بزمن الحال، والاستقبال قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ... ﴿17﴾ ﴿الكهف﴾، فالفعل ﴿طَلَعَت.... غَرَبَت...﴾ ماضيان صيغة وواقعًا، لكنهما مستقبلان معنىً وتركيبًا؛ لأن الشرط يفيد المستقبل، وفي قوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿18﴾ ﴿الكهف﴾ أزاحت ﴿لَوِ﴾ دلالة الفعل الماضي على انقضاء الزمن، إلى مستقبليته وحضوره.

إن تلك الآنيَّة والمستقبليَّة أكسبت النص بعدًا زمنيًا متجددًا، وهذا ما تحدث عنه علماء العربية، حيث أفادوا أنه في مثل هذه الحالة من التركيب، والتعبير، يُقصد بذلك، ويُراد من ورائه استحضار صورة الحدث الماضي؛ حتى تصبح كأنها مشاهدة، ويسمي الزمخشري ذلك بـ (حكاية الحال) عندما فسر قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿9﴾ ﴿فاطر﴾، يقول الزمخشري: "فإن قلتَ: لم جاء فَتُثِيرُ على المضارعة دون ما قبله، وما بعده ؟ قلتُ: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعلٍ فيه نوع تمييزٍ وخصوصية، بحال تستغرب، أوتهمّ المخاطب، أو غير ذلك" (٧).

وكان ابن الأثير أكثر تفصيلًا وتعليلًا؛ حيث تحدث في المثل السائر عن هذه القضية موضحاً الحكمة من استخدام الأفعال المضارعة للتعبير عن الأحداث الماضية، يقول: "واعلم أن الفعل المستقبل إذا أتى به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي؛ وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي" (٧ⁱ).

إذَنْ هنا توضيح للحال المُتَكَلَّم عنها، واستحضار للأحداث، والأشخاص، والقضايا الزمنية، ومحاولة تعييش المتلقي في أجواء الحدث المتحدَّث عنه، وهذا ما توفره الإزاحة الدلالية للأفعال، إزاحة المضارع للدلالة عن الماضي، وإزاحة الماضي للدلالة على المستقبل.

والمتلقي يحس بالحياة المتحركة في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿17﴾ ﴿الكهف﴾، في هذه الآية الكريمة حياة، تتجلى في حياة الكون المتمثلة في طلوع الشمس، وغروبها، أي تجدد الليل والنهار واستمرار حركتهما.

ولو قارنا الآية بالنص التالي: (وترى الشمس تزاور عن كهفهم ذات اليمين وتقرضهم ذات الشمال) نجد الفارق الجلي إذ لا يحمل هذا النص الحيوية، والحركة، والتجدد الذي يشع من الآية الكريمة، فالطلوع والغروب يضفيان على النص هالة من الحياة المتجددة الحية؛ إذ يستمر الكون ممارسًا حركته الطبيعية الموحية بتلك الحياة، والمتلقي واقف ينظر إلى تلك الحركة، والتغير، مع كل طلوع وغروب.

أضف إلى ذلك نظم المفردات العجيب؛ حيث بدأ بالمخاطب ﴿وَتَرَى﴾، كأنه يراقب أصحاب الكهف وهم في خضمّ حركة الكون من حولهم، هذه البداية تجعل المتلقي أكثر انشدادًا، وتأثرًا؛ لأن الابتداء به يجعله بؤرة القصد، ولذلك يقول سيبويه: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى "[vii]، فالمقصود ليس رؤية الشمس حين الطلوع أو الغروب؛ لأن ذلك معلوم لدي المتلقي، فهو يرى الشمس كل يوم، لكن المراد هو ما تحدثه من أثر في حياة أولئك النفر من الناس، وعلاقتها بهم، وهذا مجهول لدى المتلقي فـ "فالمتحدث يبتدئ بما هو معلوم للمتلقي، ويبني عليه ما هو مجهول ويريد إخباره به" [viii]، ولو أنا بدأنا بـ (إذا طلعت) لتصبح (وإذا طلعت الشمس تراها تزاور عن كهفهم) لأختل المعنى، وبطل جمال السبك، ودلالة التركيب. ليس هذا فحسب، بل "إن المسرح بكل ما فيه من طرق الإضاءة ليكاد يعجز عن تصوير هذه الحركة المتماوجة، حركة الشمس وهي (تزاور) عن الكهف عند مطلعها، فلا تضيئه (واللفظة ذاتها تصور مدلولها)، وتجاوزهم عند مغيبها فلا تقع عليهم، ولقد تستطيع السينما بجهد أن تصور هذه الحركة العجيبة التي تصورها الألفاظ في سهولة غريبة" [ix]

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

ثانيًا: الحــوار

هناك أساليب متعددة للسرد القصصي يمكن أن نجملها فيما يأتي:

1. **النص الجامد:** وهو النص الذي يعتمد في سرده على قائل النص، بحيث ينقل لنا الراوي الأحداث، وعادة ما يكون الفعل المستخدم هو الفعل الماضي، والضمير العائد ضمير الغائب (هو، هي، هما، هم، هن)، فيقول مثلاً (قالوا، صنعوا، ذهبوا...) وما شاكل ذلك، وفي هذا النوع من القص يتحمل الراوي كل أعباء التعبير عن الشخصيات، والمواقف، والمحيط، وعليه أن يصف الحالات المختلفة التي تمر بها أحداث تلك الرواية، أو القصة، بمعنى أن "يأخذ الكاتب موقفاً يمسك هو فيه بالأحداث، ويحرك الأشخاص، ويأخذ ما على ألسنتهم من كلام" ([x])، وإذا كان لا يجيد التعبير فسيبتعد عن مشاعر المتلقي، والتأثير فيه.
2. **النص المتحرك:** وهو النص الذي يعتمد على شخصيات الرواية، أو القصة، أنفسهم في سرد الأحداث، والتعبير عن الحالات الانفعالية، والمواقف الحياتية التي تمر بها تلك الشخصيات من خلال الحوار، ووسائل الاتصال الأخرى، إذ يعمد قائل النص إلى تحريك شخصيات القصة، أو الرواية لتقوم هي بدور الإرسال، بمعنى أن "يجعل الكاتب أشخاصه في مقام الحضور، فيدعهم يعرضون وجودهم، ويتحدثون بألسنتهم، وهنا تختفي شخصية الكاتب فلا يُرى له ظل" ([xi]).

وعن الأسلوب القرآني في القصة يقول سيد قطب "فأما.... القصص.....، فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف لها عناصر التخييل، فما يكاد يبدأ القص حتى يحيل المستمعين إلى نظارة، وحتى ينقلهم نقلًا إلى مسرح الحوادث الأولى الذي وقعت فيه، أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات.... فهذه شخوص تروح على المسرح، وتغدوا، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات المنبعثة مع الموقف، المتساوقة مع الحدث.... إنها الحياة هنا، وليست حكاية الحياة" ([xii]).

وحينما نأتي إلى قصة أصحاب الكهف نجد أنها ليس من هذا ولا ذاك؛ وإنما استخدم أساليب متعددة في سبك النص، وحبكه، وتركيبه. ساعدت هذه الأساليب على تقلب النص بين الأزمنة المتباينة، والشخصيات المختلفة، والمواقف المتنوعة، وحضورية النص، وتدفقه، وبالتالي الوصول إلى مشاعر المتلقي الذي سينفعل بهذا النص، تخيلًا، وتدبرًا، للمواقف، والأحداث، ومن ثم الوصول إلى الغاية من القص، وهي العبرة، والعظة، مع ما فيه من الدروس التربوية والمعرفية الأخرى.

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الآتي:

أ. الحكاية عن الشخصيات:

حديث الله تعالى: عن أهل الكهف:

بداية: الآيات القرآنية التي تتحدث عن أصحاب الكهف كانت بأسلوب الإخبار من الله سبحانه وتعالى: لرسوله الكريم. عليه الصلاة والسلام. عنهم، وأسلوب الاستفهام، والتوكيد فيه حثٌ على الاستماع، وجذبٌ لمشاعر المتلقي، ونلاحظ أن الأفعال التي استخدمت في الحديث عنهم كانت بصيغة الماضي الغائب، ومنها ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿9﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿10﴾ ﴿الكهف﴾، ولاحظ أيضاً الأفعال ﴿فَضَرَبْنَا. بَعَثْنَاهُمْ. وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا. وَلَبِثُوا. وَازْدَادُوا﴾.

1. حديث الله عن قومهم:

كذلك كان الحديث عن قومهم بأسلوب الغائب أيضًا مثل: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿21﴾.

2. حديث الله عمن بعدهم:

وفي الحديث عن الأمم التي ستأتي بعدهم استخدم الضمير الغائب أيضًا: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ... ﴿22﴾ ﴿الكهف﴾. ونلاحظ أن الحديث عن أصحاب الكهف وقومهم كان بصيغة الماضي، إلا قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا﴾؛ لأنها تعليل لفعل قَبْلِي يحتّم أن يأتيَ بعده مضارع، أما الحديث عن الأمم التي سوف تأتي فقد استخدم القرآن صيغة المضارع المقترن (بسين) المستقبل ﴿سَيَقُولُونَ﴾، وهذه لفتة مهمة في أسلوب السرد القصصي في القرآن الكريم.

3. حديث أصحاب الكهف عن قومهم:

تحدث الله سبحانه وتعالى: عن قوم أصحاب الكهف على ألسنة أصحاب الكهف بدلًا من الحديث المباشر عنهم، وهذا الأسلوب أعطى القصة بعدًا آخر في توزيع الأدوار، وفتح آفاق للتعبير عن الحدث ووصفه في أسلوب القص، وقد جاء الحديث من أهل الكهف عن قومهم غائباً، قال تعالى:

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

﴿هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿15﴾ ﴿الكهف﴾، ودلالة (لولا) هنا تساعد على تخيل قوة الموقف إذ فيها نوع من التشدد، والحث على الطلب، فـ "﴿لَّوْلَا﴾ حرف تحْضيض. حقيقتهُ: الحثّ على تحصيل مدخولها. ولما كان الإتيان بسلطان على ثبوت الإلهية للأصنام التي اتخذوها آلهة متعذرًا، بقرينة أنهم أنكروه عليهم انصرف التحضيض إلى التبكيت والتغليط، أي اتخذوا آلهة من دون الله لا برهان على إلهيتهم" ([xiii])، ويقول تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ. إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿20﴾ الكهف﴾.

ب. تحريك شخصيات القصة:

من الإبداع أن يجعل القاصُ شخصيات قصته حية متحركة، تعبر، وتنفعل، وتحاول أن تنقل الحدث هي، وقد أدرك الإنسان أهمية هذا الأسلوب في نقل ما يُراد نقله من قيم، وأفكار، وعادات، وتقاليد ورؤى عبر تحريك شخصيات الرواية أو القصة، وربما كان التجسيد من أهم النتائج لهذا النوع من القص، فظهرت المسرحيات التي تحاول أن تحول النص إلى واقع متحرك، ثم امتلأ الفضاء بذبذبات المسلسلات، والأفلام بعدما انفتح على مصراعيه للقنوات الفضائية.

قصة أصحاب الكهف بأسلوب بديعٍ وجميل تحركت شخصياتها، ليتجلى الحدث في مشهدٍ حيٍ بارزٍ، يتلو على سمع المتلقي، وبصره، ونفسه الدروس، والعبر، والقيم، والعظات التي تمتلئ بها مفردات، وتراكيب القصة البديعة، ونلاحظ تحريك الشخصيات من خلال الآتي:

1. تحريك أصحاب الكهف:

في قصة أصحاب الكهف نشاهد من خلال السبك والحبك النصي أصحاب الكهف أحياء، يناقشون أمرهم، ويتحاورون فيما يجب عليهم، ويتساءلون عن حالهم، ويقترحون وسائل السلامة، والأمان، كل ذلك في توليفة من أساليب مختلفة، تشد القارئ وتجذبه؛ فينفعل، وينسجم، ويتأثر.

بدأ تحريكهم من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، ثم يتدخل الله تعالى: بالحديث إلى أن يقول عنهم: ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿14﴾ هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿15﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿16﴾ ﴿الكهف﴾، ثم يُتَحَدّث عنهم إلى أن يتم تحريكهم في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿19﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿20﴾ ﴿الكهف﴾.

2. تحريك الذين بُعثوا فيهم:

حركة الناس الذين بُعث أصحاب الكهف فيهم؛ ليتيقنوا أن البعث حق؛ ويعلموا أن وعده، والساعة آتية، تم تحريكهم أيضاً؛ ليصبغ مشهدَ ما بعد موتِ أصحاب الكهف في وهج الحركة، يظهر الجدل الذي دار بين الناس في ذلك الحين، والذي أوحى به الفعل ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ في صورةٍ حيةٍ جلية، ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿21﴾ ﴿الكهف﴾.

ج. إشراك المقصوص له في أسلوب السرد:

وامتاز نص أهل الكهف بأنه لم ينس المتلقي، بل أشركه في البنية النصية؛ ليكون أكثر تفاعلًا، وانجذابًا، وأشد انتباهًا وانشدادًا مع مجريات أحداث القصة. وقد استخدم التعبير القرآني أسلوب الخطاب المباشر؛ ليزيد الإرسال خصوصية؛ يحس معها المتلقي بالقرب من النص.

أعطى الله سبحانه وتعالى: للمتلقي اهتمامًا كبيرًا، حيث جعل عتبة النص ﴿ أَمْ حَسِبْتَ﴾، التي تحمل ضمير المخاطب (ت)، ويستمر النص في السرد، وبين آونة، وأخرى يلتفت إلى المتلقي ليشد انتباهه، ويربطه بالأحداث، وبأسلوب مخاطباتي أيضا يقول تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾، وإذا كان التعبير القرآني قد استخدم أسلوب القصر في مصدر القص أوحى بذلك الضمير ﴿نَحْنُ﴾ . أي لا غيرنا؛ لأننا مصدر النبأ الحق، بينما الآخرين مجرد راجمين بالغيب. إلا أنه لم يستخدم أسلوب القصر بالنسبة للمقصوص عليه؛ حتى لا يظن ظان أن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هو المخصوص بالقص دون غيره؛ لأن القرآن الكريم رسالة الله إلى الناس عبره عليه الصلاة والسلام.

ويتوالى إشراك المتلقي في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ. وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ. لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا. وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ. وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا﴾.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (8)
IJESA
August 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (8)

وقبل أن يختم القصة نحا إشراك المخاطب منحىً آخر؛ فإذا بالتوجيه عبر الأمر، والنهي، ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿22﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿23﴾ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿24﴾ الكهف) وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿26﴾ ﴿الكهف﴾.

هذا الأمر والنهي ناسب نهاية القصة التي يريد الله منا أن نأخذ العبرة، والعظة، فلا فائدة في معرفة عددهم، أو ما شابه ذلك من الأمور، وإنما الفائدة هي أخذ الدروس، والاتعاظ بالعبر من قص القصص.

الخاتمة

شكل أسلوب قص القصة القرآنية بوابة مهمة لمعرفة أهداف القصة القرآني، كما دل البحث عن أن دراسة القصة القرآنية من بوابة علم النحو تشكل رافدًا مهماً من روافد معرفة تفسير القرآن الكريم، والوصول إلى أسراره، ومعرفة دلائل إعجازه اللغوي.

كما دل البحث اللغوي على عظمة حكمة الله تعالى، ورحمته بالإنسان لإيصال النص القرآني إليه بأسلوب ممتع جميل، يلامس مشاعره، ويُعيِّشه عالمًا نابضًا بالحياة ليتواءم مع حياته المعاصرة.

i. الكتاب. سيبويه. ج1 / 12. تحقيق عبد السلام هارون. ط3 . 1408 1998 م. مكتبة الخانجي القاهرة.
ii. التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. ج 15 / 281 . دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس. بدون تاريخ.
iii. انظر البحث النحوي عند الأصوليين . مصطفى جمال الدين . ص 150: 154 . ط2 . 1405. دار الهجرة . إيران.
iv. التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. ج16 / 292. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس.
v. الكشاف. الزمخشري. ج3 / 601 . الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت. سنة الطبع: 1407 هـ.
vi. المثل السائر . ابن الأثير . ج2 / 181 . ط2 . تحقيق د/أحمد الحوفي و د. بدوي طبانه . دار نهضة مصر . الفجالة . القاهرة .
vii. الكتاب. سيبويه. ج1 / 34. تحقيق عبد السلام هارون . ط3. 1408/ 1988. مكتبة الخانجي القاهرة.
viii. النحو العربي . د / إبراهيم بركات. ج1 / 15. ط1 . 2007 م. دار النشر للجامعات. مصر.
ix. التصوير الفني في القرآن . سيد قطب. ص191. ط16. دار الشروق. القاهرة.
x. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. عبد الكريم الخطيب. ص 80. ط2. 1395 / 1975م. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.
xi. المرجع نفسه. ص80.
xii. التصوير الفني في القرآن. سيد قطب. ص36.
xiii. التحرير والتنوير. مرجع سابق . ج15 / 275.